دراسات فی العلوم الإنسانية

30(4)، الشتاء 1445/1402/2024، صص 107-132
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

دراسةُ هويتي "المهجّن والتابع" في رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور على ضوء آراء هوميبابا وسبيفاك

علی أكبر ملايي[1*]، سميرا حيدري راد[2]

١- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بجامعة ولي العصر (عج)، رفسنجان، إيران.
٢- طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، إيران.

تاريخ الوصول: ٢١ / ٤ / ١٤٠١ تاريخ القبول: ٢٠ / ٩ / ١٤٠١

الملخّص

يعدّ الأدبُ ما بعد الكولونيالي من المجالاتِ الحديثةِ التي ظهرت في خمسينيات من القرنِ العشرين وبَلَغت ذروتَها في السبعينيات. أحدُ أهمِّ دَوَاعي هذا الحَقلِ من الأدبِ، عنايته بآداب مستعمراتٍ واجهت تداعيات الاستعمار بأنواعها المختلفة. هويتا المهجّنة والتابعة من المفاهيم الرئيسة في الدراسات ما بعد الكولونيالية؛ فاهتمام رضوى عاشور بجدلية الأنا والآخَر، ظاهرة الهُجنة وأزمة الهوية، صراع التابعات أمام الاستعمار المزدوج يبرهن على مقاومةالمثقّفة ضد الاستعمار في الإطار الأدبي. أمّا الغرضالرئيس لإلقاء البحث فهو التعرّف إلى إيدئولوجية الكاتبة في صعيد الملامح بعدالاستعمارية لأنهّا ترسم ظاهرة الاستعمار ومدي إرهاصاتها على المستعمَرين. ونظراً إلى أنّ السرديات ما بعد الكولونيالية تدور حول هذه المحاور، اعتمدنا على منهج النقد ما بعد الكولونيالي والمنهج الوصفي-التحليلي لتطبيقِ ملامحِ النقدِ ما بعد الكولونيالي على رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور حسباً لنظريات هوميبابا وسبيفاك مُنظري الأدببعدالكولونيالي. أمّا فرضية الباحِثَين؛ فهي العلاقة بين رواية "ثلاثية غرناطة" والنظرية ما بعد الاستعمارية علاقة متبادلة ورغم أنّ تاريخ الرّواية وظهور النظرية مسافةمن الزمن فإنّ الرواية تبدو وفقاً للإشكالية التي يمثّلها سبيفاكبأموّا أهم النتائج التي توصّلت الدراسة إليها فهي؛ إنَّ الصراع الثقافيّ واللغويّ والدينيّ بين "الأنا والآخَر" تسفر عن ظهور ظاهرة التهجين التي تتجلّي في الطرد، والقبول، والتفكيك والمحاكاة. الاختلاط بين العرب والقتلة يؤدّي إلى إيجاد لغة "البيدجين" في الرواية. تتفق رضوى عاشور مع رأي سبيفاك القائل بأنّ التابعة ليست

١. الكاتب المسؤول: Email: a.mollaie@vru.ac.ir

بإمكانها التّكلم إلاّ إذا توفّر لها فضاء التعبير الذي يتهيأ بواسطة المجتمع الاستعماري والذكوري.

الكلمات الرئيسة: الأدب ما بعد الكولونيالي، المهجّ نة، التّابع، ثلاثية غرناطة، رضوى عاشور

١. المقدمة

الاستعمار هو هيمنة الدول الكبيرة على البلدان الضعيفة والاحتفاظ على سيطرتها بشتّى الطُرُق منها؛ السياسية والاقتصادية والثقافية وإلخ. ويهدف إلى أنْ يحوّل هويةَ البلدانِ المستعمَرة إلى هوية المستعمِر ليقترب مِن أغراضها الاستعمارية منها؛ اللغوية والثقافية والاقتصادية. علاوة على هذا؛ إنَّ للكتّاب دوراً كبيراً لتجسيد التداعيات ما بعد الكولونيالية في أعمالهم الأدبية. الأدب ما بعد الكولونيالي كمرآةٍ تعكس مصائب المجتمع الفادحة. والرواية هي نوعٌ أدبيٌ تدور حول ملامح كلّ عصرٍ، لأنّها تجسّد الأحداث التي تجري في الفترات التاريخية.

والدراسات ما بعد الكولونيالية لم تقتصر على حقبة ما بعد الاستعمار بل امتدّ المفهوم ليطاول كلّ ما يتأثر بهذا السياق الأمبريالي «منذ لحظة الاستعمار وحتي يومنا الحاضر» أي أنّه «يعني بالعالم كما وجد ويوجد خلال وبعد السيطرة الأمبريالية الأوروبية، وبالآثار المترتبة من جراء ذلك على الأدب والثقافة المعاصرة» (السادة، ٢٠٠٩: ٩). تهدف الدراسات ما بعد الكولونيالية إلى تصحيح نظرة المستعمِر الاستعلائية للشعوب المستعمَرة ونقد النخب الوطنية المندمجة أو المطالبة بالاندماج مع المستعمِر والمنبهرة بثقافته وأدبه وأسلوبه في الحياة.

أما الفترة التي تعيش فيها الكاتبة المصرية رضوى عاشور فهي فترة تعجّ بالضجيج والضوضاء والفساد طيلة الاستعمار وتداعياته. لذلك نلاحظ أنَّ الكاتبة بذلت قصاري جهودها لتجسّد ظاهرة الاستعمار وإرهاصاته في روايتها الرائعة فهي؛ "ثلاثية غرناطة". أمّا غرضنا الرئيس فهو التعرّف على إيدئولوجية الكاتبة في مجال القضايا ما بعد الاستعمارية لأنَّ الكُتّابَ تَوَرّر في الرواية المذكورة ظاهرة الاستعمار ومدي تأثيراته على المستعمَرين في المجالات المختلفة منها العقائدية والثقافية والسياسية. «إنّ طرح قضايا المرأة السياسية والاقتصاديةوالاجتماعية والنفسية يتّسم بطابع الجدية عندما تتخذ الكتّابات محوراً لبطولة قصصهن ومحوراً للصراع، وفي امتزاجهن ككاتبات مع الشخصية الرئيسة في الرواية للتعبير عن صراعها وصراعهنّ في آن واحد، بهذا الشكل تنجح الكاتبات في رسم صورة المرأة يصورن فيها علاقاتها بذاتها وبالآخرين» (نيكوبخت وآخرون، ٢٠١٢: ١٢٠).

أمّا القضية الرئيسة التي تؤدّي إلى إلقاء البحث الحاضر فهي معالجة رؤية نقدية للكاتبة المصرية خلال تحليل الملامح الاستعمارية. والكاتبة المصرية رضوى عاشور في إحدى رواياتها المسمّي بـ"ثلاثية غرناطة" تتحدّث عن ثنائية "الأنا

والآخر"، "هوية التابع والمهجّن"سمّى الرواية بـ"ثلاثية غرناطة"؛ هذا العنوان يدلّ على "المكان" وهو الغرناطة التي سُقِطَت في الأندلس خلال المعاهدة التي جرت بين أبي عبدالله الصغير وملك أراجون. تناولت هذه الرواية الضخمة برهة تاريخية عاشتها أسرة أبي جعفر الوراق المسلمة، تتحدّث رضوى عاشور بدقة عن جميع الظروف الاجتماعية واللسيبة والدينية التي عاشها المسلمون في غرناطة، تتصوّر المرأة الكاتبة المعاناة التي كانت يعيشها المسلمون في تلك البرهة التاريخية. تتناول رضوى عاشور الحوادث بشكلٍ يُشعِر القارئ كأنّه جزء منها، وتنتهي إلى قرار آخر أبطال الرواية مخالفة قرار الترحيل، ويكتشف أنّ الموت هو الرحيل عن الأندلس.

تقدّم الرواية "ثلاثية غرناطة" تركّز على المكان مباشرة. والمكان يعبّر قبل كلّ شيءٍ عن العِرقِ والهويةِ. يهدف غلاف الرواية أنّه يتمثّل صورة امرأةٍ ذات شعرٍ مجعّدٍ كثيفٍ أسود ووجهٍ حزين حدّق في عيني مخاطبيها. هذه الصورة التي تكون في مركز الغلاف تدلّ على الوجهين: الأول؛ أنّ الكاتبة رضوى عاشور تشير إلى دور النساء الرئيسة في الأحداث التاريخية. والثاني؛ الغلاف يبرهن على الصلة الوثيقة بين المرأةِ والمكانِ. هذه الصلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع الأدب ما بعد الكولونيالي. الكاتبة تدعو المرأة إلى المركز كما نشاهد في غلاف الرواية صورةُ المرأة كلّ فضاء الغلاف وهذه الشمولية المكانية تدلّ على دور المرأة الأساس وفاعليتها في الرواية. يمكننا الإشارة إلى المسائل المهمّة التي تطرح في النظرية ما بعد الكولونيالية وهي الهوية، التابع، المركز والهامش.

في هذه الدراسة نريد الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هي أهم ملامح "التهجين" في رواية «ثلاثية غرناطة»؟

٢. كيف يتجلّى الآخَر "التابع" في رواية «ثلاثية غرناطة»؟

أمّا الفرضيات الرئيسة للمقال المدروس فهي:

العلاقة ما بين "ثلاثية غرناطة" والنظرية ما بعد الاستعمارية علاقة متبادلة ورغم أنّ بينهما مسافة من الزمن فإنّ للرواية وصف للإشكالية التي يمثّلها هومي بابا وسبيفاك. الرواية تدور حول الصراع بين العرب والقشتاليين في ممالك الأندلس؛ هذا الصراع يشكل فضاءً بين العرب والقشتالة. ويشير إلى الفضاء الثالث الذي يتحدّث عنه هومي بابا في دراساته بعد الكولونيالية. نلاحظ ظاهرة التهجين التي تتجلّى في قضية الدين، اللغة والثقافة حتّى تنتهي إلى ظهور الهوية المهجّنة.

رضوى عاشور من الكاتبات التي تهتمّ بالقضايا ما بعد الكولونيالية في رواياتها؛ دراسات التابع إحدى الدراسات الرئيسة في الأدب ما بعد الكولونيالي وهذه الدراسات ترتبط بالهامشيين. علاوة على الفضاء الثالث وهوية المهجّن نتّبع هوية التابع ونقوم بتحليل ظهور التابعات في برهة من التاريخ خلال رواية ثلاثية غرناطة.

١ - ١ .خلفية البحث

تنقسم سابقية بحثنا إلى قسمين؛ قسم يرتبط بالبحوث التي تنجز حول رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور وقسم آخر يشير إلى الدراسات ما بعد الكولونيالية. أمّا القسم الأول فهو:

-مقالة "**ثلاثية غرناطة: مقاربة الحاضر دراسة في رواية الروائية رضوى عاشور**" (٢٠٠٦م) لزهير محمود عبيدات. تقوم بتحليل الرواية المذكورة من منظور السرد التاريخي للكشف عن الثنائيات المطروحة في الرواية وتبحث عن العالم الداخلي للشخصيات المقهورة معبرّة عن آمالها وآلامها تجاه الحرية.

رسالة الدكتوراه المعنونة بـ«**ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، دراسة في التشكيل السردي ومقصديته**» (٢٠١٠) أعدتها الباحثة مني سعيد عبد أبوالوفاء بجامعة عين الشمس. انقسمت الدراسة إلى القسمين، تناولت في القسم الأول عناصر تشكيل الخطاب الروائي وقامت الباحثة بتحليل الرؤية السردية والراوي والمروي له ودراسة التشكيل الفني والإيديولوجي.

-أطروحة الماجستير المعنونة بـ«**تطوّر البناء الدرامي التاريخي في روايات رضوى عاشور (٢٠١٠-١٩٩٢)**» (٢٠١٤)لخلود إبراهيم عبدالله جراد. جامعة الشرق الأوسط. تتطرق الباحثة إلى دراسة البناء الدرامي-التاريخي في أعمال رضوى عاشور ذات الطابع التاريخي من عام ١٩٩٢هجري ٢٠١٠للميلاد. وهي: رواية سراج، رواية ثلاثية غرناطة، رواية قطعة من أوروبا، رواية فرج ورواية الطنطورية.

- أطروحة الماجستير المعنونة بـ"**شعرية الوصف في رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور**" (٢٠١٤م) لسومية مسهل تعالج الدراسة بنية الوصف في الرواية وتشرح أنماط الوصف؛ الوصف عن طريق القول والفعل والرؤية. وتوصّلت إلى أنّ للوصف وظائف حكائية ودلالية تؤدّي إلى فهم فكرة الكاتبة.

-أطروحة الماجستير تحت عنوان "**دراسة التوظيف التاريخي والروائي والبنية السردية في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور**" (٢٠١٦) لويزة برباش. يقوم هذا البحث بتحليل التقنيات السردية في الرواية ويبرهن على أنّ رضوى عاشور تنظر في روايتها إلى الحقبة التي خرج فيها العرب من الأندلس واتخذت منها قناعا للحديث عن الواقع العربي. استخدمت الباحثة تقنية القناع لكي تجسّد الصهاينة في صورة القشتال وفلسطين في صورة غرناطة.

-مقالة "**تمظهرات الزمن في رواية "غرناطة" لرضوى عاشور (٢٠١٨)** لعمر مخلوف. هذا البحث يقوم بدراسة تجليات الزمن في الرواية المذكورة خلال آراء جيرار جينيت ويتناول العلاقات بين الزمن السردي والرواية التاريخية.

-مقالة معنونة بـ"**تقنيات السرد الزمني في الرواية التاريخية (ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور نموذجاً)**" (٢٠٢١) لصبحية عودة زعرب. تبحث هذه الدراسة عن أهم التقنيات الفنية والدلالية والجمالية التي ارتكزت عليها لإقناع

خالطلب وتهتم ّ بالأنساق السردية في رواية "ثلاثية غرناطة" ثم ّ تشير إلى الاستباق الزمني؛ زمن الحلم للكشف عن أهمية عنصر الزمان في تحليل الرواية.

-مقالة تحت عنوان "**المحكي التاريخي واستراتيجيات المقاومة الثقافية في رواية "ثلاثية غرناطة" لرضوى عاشور** (٢٠٢١) لأحمد زعزاع. يشير هذا البحث إلى ثنائية الرجل والمرأة في الرواية. ويؤكد على اقتران التاريخ بالمكان والهوية أثناء تقديم الأحداث والشخصيات محاولاً على تقديم نبرة الذات في رد ّه على الخطاب الغربي ويعبر ّ عن استعادة لحظات من تاريخ الأندلس من منظور الأنا الواعية.

مأ ّا القسم الثاني كخلفية البحث فقد تناولت دراسات كثيرة إشكالية الملامح نقد ما بعد الكولونيالي، نذكر منها ما هو قريب من موضوعنا: هناك بحث: "**هويت زن شرقي مهاجر در آثار جومپا لاهيري ومهرنوش مزارعي از ديدگاه هومي بابا**": دراسة مقارنة بين هوية المرأة الإيرانية والهندية على ضوء نظريات بابا للباحثين أميد ورزنده وسيد رضا ابراهيمي. (المنشورة في مجلة فصلية تخصصية للأدب الفارسي) بجامعة آزاد في سنندج، العدد١١، ١٣٩١ش. هذه الدراسة تطب ّق آراء هومي بابا على روايات لاهيري ومزارعي وتحاول على تحليل الهوية الكولونيالية في الأدب المعاصر. مقالة معنونة بـ "**خوانش پسااستعماري از رمان مردم جولاي نادين گرديمر**" لمينو جوان مولايي ورضا ياوريان وهي دراسة الثنائيات الضدية على ضوء نظرية هومي بابا. (المنشورة في فصلية نقد اللغة والأدب الإنجليزي) بجامعة بهشتي، العدد٥، ٩٢ش١٣ توصـ ّلت هذا المقال إلى أن ّ تواجد الثقافة الجديدة في مكان جديد يؤد ّي إلى كشف الهوية الجديدة المعنونة بالهويةالهجـ ّنة. مقالة معنونة بـ"**الفضاء الثالث في روايات واسيني الأعرج: شطب الحدود وإعادة الكتابة**"، ٢٠١٥م، مجلة تبين لدراسات فكرية وثقافية، لخالد العارف. هذا البحث يشير إلى مناقشة وتحليل أشكال حضور الهوية من خلال ثيمات الحب والوطن والمنفي في أربع روايات الكاتب الجزائري واسيني الأعرج. وبحث "**خوانش پسااستعماري تجربه ي مهاجرت در رمان "أصابع لوليتا" اثر واسيني الأعرج از ديدگاه هومي بابا**" للباحثين حسن فاتحيوفرامرز ميرزائي وبي بي راحيل سن سبلي (دراسة العناصر المهجـ ّنة في هذه الرواية الجزائرية على ضوء نظريات هذا المنظر)، المنشورة في مجلة نقد الأدب العربي بجامعة بهشتي، ٣٩٥ش. نلاحظ في هذه الدراسة أن ّ الرواية تشير إلى أهم عناصر كولونيالية منهاقضية الأنا والآخر، قضية الهوية والتهجين. مؤلفوها يقومون أو ّلاً بتحليل نظريات بابا وثانياً تطبيقها على الرواية. مقالة معنونة بـ"**بررسي هويت پسااستعماري در رمان "مملكة الفراشة" اثر واسيني الأعرج با تكيه بر ديدگاه هومي بابا**" (١٣٩٦)، لحسن فاتحي، بي بي راحيل سن سبلي، مجلة لسان مبين. يشير هذا البحث إلى المشاكل الموجودة في المجتمع الجزايري منها؛ أزمة الهوية، المهاجرة، الثنائيات الثقافية والاجتماعية والدينية في الحقبة ما بعد الكولونيالية. يشرح هذا البحث شخصيات الرواية على أساسإ آهومي بابا ويتوصـ ّل إلى أن ّ الهوية المهجـ ّنة

تتجلّي في صعيد الدين، اللغة والجنسية. وبحث "**شخصية المرأة في رواية "الطنطورية" لرضوى مصطفي عاشور على ضوء آراء سبيفاك" (**٣٩٦ش). للباحثين َ كبري روشنفكر، هادي نظري منظم وسميرا حيدري راد، في مجلة آداب الكوفة. تعالج الدراسة مفهوم التابع على ضوء آراء سبيفاك. بحث "**تمثيل هوية التابع في الرواية العربية الجديدة: رواية شيكاجو أنموذجاً** " لمحمد على آذر شب وفاطمة أعرجي نشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، السنة الثامنة، العدد السادس والعشرون سنة (١٣٩٦ش). عالج فيه الكاتبان كيفية صناعة الهويات التابعة وتمثيلها في الوايات وتوصّ لا إلى أن الهوية صنعة ثقافية وأنّ السرد له إمكانية صناعة الهوية. مقالة معنونة بـ"**فصام الهوية بين أنوثة قاهرة ورجولة مقهورة: قراءة ما بعد كولونيالية في رواية «العطر الفرنسي» لأمير تاج السر**"، (١٣٩٧). لفرامرز ميرزايي، بشري جزائري راد، خليل پروييني وهادي نظري منظم. نُشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، في العدد السابع والعشرين. تقوم هذا البحث بمعالجة تأثير الغرب على البعد الهوياتي للشعوب في حقبة ما بعد الاستعمار. ويعبر ّ عن الغياب الكبير للشعور بالقهر الاستعماري عند المستعم َ ر وأشكال الضغينةالكانت تميز علاقات المستعم َ ر والمستعم ِ ر. مقالة "**التهجين في الرواية الجزائرية المعاصرة على ضوء نظرية هومي بابا (رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لعمارة لخوص أنموذجاً**): (١٣٩٩ش) لمحمد تدو وعليرضا شيخي، المنشورة في مجلة إضاءات نقدية. يقوم الباحثين بمعالجة الهوية المهجنة في الرواية المذكورة وتوصّ لا إلى أنّ المهجّ نة غير قادرة على خلق الخطاب الثقافي وذلك يعود إلى عدم تمكنهم من قبول الهوية الجديدة. مقالة معنونة بـ"**المؤشرات ما بعد الكولونيالية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال لطيب صالح**" (٤٠٠ش) لهادي نظري منظّم عالج الباحث المستعم ِ ر والمستعم َ ر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال من منظور نظرية ما بعد الكولونيالية. يتوصّ ل إلى أنّ الشخصية الرئيسة المهجّ نة لم يقترب من الفضاء الثالث الذي يبرهن عليه هومي بابا. مقالة تحت عنوان "**بحثٌ عن كلام التابع في الأدب المقارن**" (١٤٠٠ش) لأميرحسين وفا. يشير هذا البحث إلى آراء غاياتري سبيفاك منظّرة الأدب ما بعد الكولونيالي في مجال دراسات التابع ويؤكد على معالجة ثقافات وآداب التابعين.

رغم أ هناك الكثير من الدراسات أنجزت حول النظرية ما بعد الكولونيالية لكننا لم نجد دراسة تتناول هويتي المهجّ ن والتلع في رواية "ثلاثية غرناطة" من رؤية تاليفية بين هومي بابا وسبيفاك. كما أنّ هذه الرواية لم تحظ باهتمام الباحثين على ما لها من أهمية في السرد ما بعد الكولونيالي. ولهذا تتّضح أهمية الموضوع وضرورته.

٢.لمحة عن رواية "ثلاثية غرناطة"

"ثلاثية غرناطة" تعتبر من الروايات التاريخية تحكي نكبات ٍ جسيمةً أصابت بالعرب في بلاد الأندلس. الرواية تصو ّ ر

قضية التشريد والهجرة والاضطهاد التي قد أثقلت كاهل المسلمين من العرب ووضعت العقبات أمامهم لتحول دون كفاحهم. هذه الثلاثية تحتوي على ثلاث حكايات مستقلة تروي حوادثاً جرت لخمسة أجيال من المسلمين في الظروف القاهرة التي تعجّ بالفوضي. تبدأ الحكاية الأولى المسمّى بـ"غرناطة"؛ بحياة أبي جعفر وهو رجل يناهز الستّين من عمره في برهة تصادف على هزيمة مَلك المسلمين الأخير الذي أوكل قصر الحمراء إلى القشتاليين كما أنّ الحكاية الأخيرة المسمّى بـ"الرَّحيل"؛ حكاية "علي" الجيل الخامس من أجيال أبي جعفر وهو في الستّين من عمره الذي يصادف على صدور الحكم الأخير من جانب القشتاليين يفرضون على العرب أن يرحلوا من الأندلس. الحكاية الثانية من هذه وايقلرالمعنونة بـ"مريمة " تجسّد علاقة مريمة وحسن حفيد أبي جعفر والمصائب التي ترسّبت في أعماق النساء التابعات أمام شظف الحياة وظلم المستعمرين. تتجلّي في هذه الرواية قضية الهوية بأنواعها المختلفة في الفضاء الثالث: التابع والمهجّن.

٣.أدب البحث النظري

تأثير الاستعمار في العالم الثالث من أهم الموضوعات التي يهتم بها الأدباء لاسيما الذين عاشوا تحت طائلة الاستعمار. أما نظرية ما بعد الاستعمار فحقل معرفي حديث تعود إرهاصاته إلى خمسينيات القرن العشرين من خلال أعمال فرانز فانون وألبير ميمي ثم تبلورت أطره المعرفية والمنهجية منذ أواخر السبعينيات وتأخر استقرار المصطلح إلى أواخر الثمانيات وبداية التسعينيات. (سعيد، ٢٠٠٦: ٤٥). الثالوث البارز لهذه النظرية هم إدوارد سعيد[1]، جاياتري سبيفاك[2] وهومي[3]. ومن السمات المميزة لهذه الآداب: عنايتها بموضوعات مؤثرة، مثل الظلم و الوحشية، قوة الثقافات المحلية وتاريخها، وجود تراث ثقافي غني أقدم من تراث أوروبا وأرحب، عنايتها بالمكان والانزياح والانخلاع، إبراز أزمة الهوية الخاصة بما بعد الكولونيالية، البحث عن علاقة بين الذات والمكان، إحساس بالذات والهوية، العناية بأساطير الأصالة والتراث هي ملامح مشتركة بين الكتابات ما بعد الكولونيالية (بعلي، ٢٠٠٧: ٦٩).

١ - ٣هوية المهجّن:

مصطلح «الهجين» يدلّ على «نبات أو حيوان ينتج عن تزاوج نوعين أو سلالتين أو صنفين مختلفين» (مصطفي والزملاء، ١٩٨٩: ٥)٩.٤جهود هومي بابا مكرّسة لاستكشاف الموقع الثقافي الهجين، مدافعاً عن موقعٍ نظري يفلت

1. Edward Said
2. Spivak Gayatri
3. Homi Bhabha

منائيات الشرق والغرب، والذات الآخر، والسّيد والعبد والداخل والخارج موقع يتغلّب على الأسس المتعينة ويكشف عن فضاء من الترجمة لا تكون فيه الهويات منسوبة إلى سمات ثقافية متعينة مسبقاً (Bhabha:1994: 11). إنَّ موقع الثقافة هو الفضاء البيني في منظور بابا، إنّ الهويات الثقافية هي هويات بينية وهجينة. إذن يمكن القول؛ «الهجنة الطهيش الذي تتقاطع فيه الخلافات الثقافية مع بعضها البعض وتخلّ بالهوايات المستقرّة التي تدور حول النزاعات في الماضي والحاضر» (شاهيري،١٣٨٩: ١٥٧).

إنّالفضاء الثالث هو فضاء الهُجنة ذاتها، ذلك الفضاء الذي يحوي دوماً المعاني والهويات الثقافية فيه آثار المعاني والهويات الأخرى (أشكروفت وآخرون،٢٠١٠: ٢٧). إذن يمكن القول إنّ الهوية وعلى نطاق أوسع، الأشكال الثقافية ليست لها نهاية خاصة، بل هي عملية ذات نهايةمفتوحة يعاد تعريفها دائماً. أمّا مفهوم الفضاء الثالث فيمكن تقديمهمن التبسيط بالقول إنّ اللقاء بين المستعمِر والمستعمَر أدّى إلى التقاء فضاءين مختلفين جذرياً. الفضاء الأوّل هو فضاء المستعمَر، وهو مشكل من دينه ولغته وتاريخه، أي عالمه الخاص. والفضاء الثاني هو الفضاء الذي أتي به المستعمِر وهو يحتوي على عالمه الخاص.

مفهوم الفضاء الثالث الذي طوّره هومي بابا، فهو فضاء اللقاء بين الفضاءين الأولين تاريخياً تشكلت الإرهاصات الأولى للفضاء الثالث في عالم المستعمرة؛ هذه المستعمرة التي يعتبرها هومي بابا الوجه الآخر للحداثة الغربية. إلاّ أن هومي بابا يحاول مجاوزة ذلك بالتركيز على ما يسمّيه الحدود وهو الفضاء، حيث تحتك الهويات وتتجاذب في ما بينها، وحيث يقع فعل الترجمة الثقافية والتهجين (العارف،٢٠١٥: ١٦٧).

٢ - ٣مفهوم هوية الآخَر التابع[1]:

الصورولوجية علم يقوم بمعالجة صورة «الآخَر» أو صورة «الثقافة الأخري». بعبارة أخرى؛ الصورولوجية طريق يبحث عن صورة البلاد والأجانب في أعمال الكاتب (نامور مطلق،١٣٨٨: ١٢٢). فالتابع هو الفرد الذي يعيش ضمن مجموعة مهمّشة غير قادرة على التعبير عن حاجاتها أو تطلعاتها أو رؤيتها. فالتابع هو الفلاح الأمي والمرأة الصامتة في العالم الثالث وحشود العمّال وسواهم من الجماعات التابعة (المضادة للمثقّف) ممن كان لهم (مورتون، ١٣٩٢: ٧٩). انطلاقاً عمّا تقدَّم؛ التابع يعتبر الآخر[2] فهو الهامشي الذي يستبعده المركز، أو هو الماضي الذي يقصيه الحاضر. لكنه جوهري بالنسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده، فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر.

1. Subaltern
2. The Other

وأهم من وظف هذا المفهوم إضافة إلى إدوارد سعيد هو هومي بهابها، وغاياتري سبيفاك في حقول مشابهة أو مختلفة (الرويلي والبازغي، ٢٠٠٢: ٢٣-٢١).

غاياتري سبيفاك تنتمي إلى الجيل الأول من مثقفي الهند ما بعد الاستقلال. فقد لمع نجمها في العالم إثر ترجمتها الإنجليزية لكتاب جاك دريدا "في علم الكتابة". عملت مع بول دي مان في وقت لم يكن يعرف شيئاً عن دريدا. «وأعمالها التي اتخذت شهرة عالمية هي: "هل يستطيع التابع أن يتكلّم؟"، و"مختارات من دراسة التابع". واشتهرت بدراستهاللواقع التابعة في المجتمع؛ فقد اهتمّت بالدفاع عن المرأة الشرقية ومواجهة الهيمنة الغربية والدفاع عن المهاجر والاهتمام بالأدب والثقافة.» (شمناد، ٢٠١٤: ٣٧).

تذهب سبيفاك في مقالها المعنون بـ«التمثيل الأدبي للتابعات» إلى أنّ النص الأدبي يمكن أن يستخدم كبديلٍ لنقل ريخ نظلال النساء التابعات. والأدب القصصي يضع بين يدي سبيفاك تمثيلاً حقيقيًا لمقاومة النساء وصمود المهمّشات في عالمَ ما بعد الكولونيالية. في هذا المقاليبدأ نقد سبيفاك بهذه الفرضية أنّ البنية التحتية لتمثيل أي عمل فني في النصوص الفنية أو الأدبية أو السينمائية هي نفس البنية لعمل سياسي والاختلاف الكلي بين البنية الفنية والبنية السياسية، هو أن البنية الفنية تعتمد على تمثيل الحقيقة كما هي وتضعها في معرض الأنظار في الظروف التي ينكر التمثيل السياسي هذا الشيء (Spivak,1988: 292)خلاصة القول أنّ سبيفاك تتحدّث في مقالاتها العديدة عن التابعات اللاتي يعشن في ظل الاستعمار أو التداعيات الناشئة منه. ورغم صمودهنّ وكفاحهنّ تجاه المتبوعين لايقدرن التكلّم بل يختفين أصواتهن.

إن تقييم سبيفاك لخضوع النساء المستعمَرات المزدوج ومناقشتها عملية إسكات الموضوع الوطني الخافت في شكل المرأة التابعة ويمتد إسكات المرأة التابعة ليشمل جميع أنحاء العالم الكولونيالي كما يمتد ليشمل إخراس وإخفات أصوات جميع المواطنين الذكور والإناث (أشكروفت وآخرون، ٢٠١٠: ٢٩٢). تعتقدسبيفاك على أنّ الأدب يقدر على خلق فضاء متباين لتصوير ونقل احتجاجات وصمود النساء في المجتمع الخاضع للاستعمار.

نسعنج آراء هومي بابا وسبيفاك أنّ النظرية ما بعد الكولونيالية تهتمّ بقضية الهوية اهتماماً بالغاً؛ نلاحظ أنّ منظّري ما بعد الكولونيالي ينظرون إلى مفاهيم طرد الهوية، تفكيك الهوية ومحاكاةالهوية للكشف عن هوية مهجّنة وتابعة. علاوة على هذا؛ أنّ معالجة الهوية قضية مشتركة في نظريات ما بعدكولونيالية.

٤.القسم التطبيقي

٤ - ١ .تمثيل ظاهرة "التهجين» في الفضاء الثالث

في "ثلاثية غرناطة" نتعرّف على بعض الشخصيات الّذين َ ابتعدوا عَن هويتهم العربية وثقافتهم العريقة. نشاهد في الرواية ى مثالا لهذه الظاهرة حينما حدثت مشاجرة بين أبي منصور وشابّ عربيّ و َسيم مُسرِف في العناية بمظهره والّذي كان ابومنصور يرفَعُ سبّابته إليه ويقُول له: «تتنصلّ من أهلك يا كلب!» ثمّ عَرَّف الشابّ إلى َسن َ وقال: ابنُ ياسر الوقّاد. أبوه رحمة الله عليه كان يعمل وقاداً في حمّامي، وأنا سمعتُهُ الآنَ بأُذُني َ يتفاخَرُ بأنّه قشتالي أباً عَن جدّ ، وأنّ دماءَهُ نَقية...» (عاشور، ٢٠٠١: ٢١٦و٧)١٢وفي الرواية الأخيرة نواجه شخصيةً مهجّنةً أخري المُسَمَّي بـ«خوسيه» وهو اندمج في البيئة الجديدة التي تختلف عن هويته الوطنية حيث إنّه يتبّع هوية القشتاليين وينبهر في ثقافتهم. يرتدي ملابسهم ويتكلّم بلغتهم. بعبارة أخرى؛ يهتمّ خوسيه بحفظ مكانته ومنافعه دون العناية بمصير وطنه ومواطنه تشير الكاتبة أثناء الرواية إلى خوسيه كي يعبرّ عن الظروف القاهرة التي تسيطر على المجتمع الاستعماري. في الواقع خوسيه ممثّل لمن يتأثّر بإرهاصات الاستعمار وينسي هويته العربية حتيّ في ملامحه الظاهرية:

«كان خوسيه يرتدي ملابس النبلاء وأثرياء القشتاليين يعتمر قلنسوة من المخمل القرمزيّ ، و َسترة مطرزة بخيوط الفضة، وسروالاً ينتفخ حول البطن والردفين قليلاً، ويضيق على الفخذين لينتهي عند الركبتين مسلما الساقَين لجوربين حريريّين ينتهيان داخل زوج من الأحذية لامع مصقول كالمرايا» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٦٣).

في الحوار الذي يجري بين "خوسيه" و"علي" نشاهد تجسيد الفضاء الثالث الذي يتحدّث عنه هومي بابا؛ خوسيه يشير إلى فضاء يجمع فيه العرب والقشتالة وهذا الفضاء ليس فضاءً خيالياً بل واقعيٌّ . "خوسيه" يريد أن يفرّ من هويته ويقرّب نفسه من الثقافة التي يعتبرها عالية وهي ثقافة قشتالية. في النهاية يقوم بمحاكاة هوية القشتالي ويتّبعه في ارتداء ملابس القشتاليين لذلك يعيب علياً على ارتداء الملابس العربية.

«مادام معك نقود يا أخي ارتَد ملابس مناسبة. إنّهم يسيئون إلينا، ويتحرشون بنا، ويتعالون علينا ويقولون بازدراء: «أولاد العرب! ولكن الواحد منا إذ يبدو عليه الثراء، ويمشي في الأرض مختالاً كالنبلاء لا يجرءون على الإساءة إليه، ولا التحرش به. عليك أن نبدو كالأسياد وأن نتصرّف مثلهم!» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٦٥):

نلاحظ في هذا القسم من الرواية؛ أنَّ "خوسيه" يعيش في الفضاء الذي يوفّر له أن يتحدث عن التعارضات والاختلافات التي يشاهدها في الثقافة الأجنبية. في الحقيقة؛ نظرته النقدية بالنسبة إلى ثقافته الوطنية يسوقه إلى الآخَر والأجنبي. "خوسيه" يكره أن يخاطبه الأجنبي "أولاد العرب". في الواقع؛ يتجنّب عن ظروف يتذكر له هويته العربية؛ يقتضي هذا الانفصال تصرّفَ الأجانب كي يبتعد عن أيّ تحرّشٍ وازدراءٍ . يعتقد أنَّ ملابسَه العربيةَ التي تَدُلُّ

على وثقافته عرضته على الإساءة والازدراء من جانب الأجانب. وينظر إلى مواطنه الذين يتوسلون إلى الرائح والغادي يحافظوا على ثقافتهم، نظرة "الآخر" أو "العبد"؛ هذه النظرة نظرةٌ تُبعدُه كلَّ البُعد عن جذوره العريقة. لكنّه ينظر إلى الأجنبي نظرة "الأنا" أو "السيد" الذي يمشي في الأرض كالنبلاء. يتجلّي في هذا القسم من الرواية ظاهرة للفصام الذي يتيح للمستعمر فرصةً يخرّب ثقافته الوطنية أو يحافظ عليها حفاظاً لا يقهر. أمّا "خوسية" يرفض هويته العربية أثناء محاكاة هوية الأجانب.

نظرة "الأنا" إلى الأجانب ←قبول هوية الأجانب ورفض الملابس العربية ←محاكاة ملابس الأجانب

«يتطلع إلى خوسيه الذي يتحدث بالقشتالية ويضحك بصوت عال مع مجالسيه، قدر أنّهم قشتاليون، ثمّ تشكك في تقديره إذ كانوا يشبهون خوسيه شكلاً وملبساً ولهجة كلام.» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٦٦).

إنّ للغة دوراً مهماً في التحاور الاستعماري؛ من الواضح أنّ المستعمر يدافع عنها ويحافظ عليها أمام المستعمِر. لأنّ العناية باللغة تؤدّي إلى معرفة الهوية البشرية. في هذا القسم من الرواية تشير الكاتبة إلى الفضاء الثالث الذي يعطي المستعمر حرية الإدماج والاختلاط مع الأجنبي. "خوسيه" بدل أن يلتزم بلغته يرفضها. ويتحدّث بالقشتالية ويتّبع ملابسهم. حسب الدراسات ما بعد الكولونيالية؛ الفضاء الثالث يمكن أن يكونَ فضاءَ الجرأة والتبدّل. الكاتبة تجُسّده بأشكال مختلفة؛ نلاحظ في شخصية "خوسية" أنّه يقترب من القشتاليين ويبتعد عن قيمه العربية. في الواقع؛ يركّز على الانشطار. "خوسيه" يتعرّف نفسه خلال طرد هويته العربية وقبول هوية القشتالي وينهج منهج القشتاليين ليربط هويته العربية بهوية القشتالي ربطاً وثيقاً. طبقاً لشخصية خوسيه نواجه الرسم التالي:

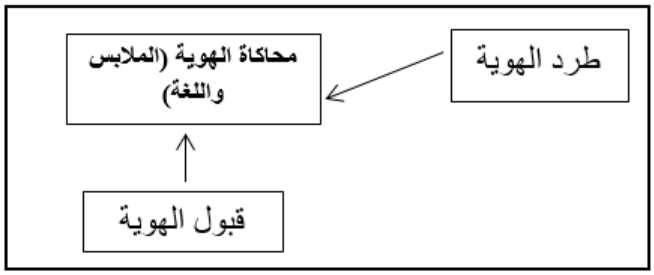

الرسم (١): قبول الهوية

Figure1: Identity acceptance

انطلاقاً ممّا تقدّم؛ نلاحظ أنّ السلطة يري نفسها «الأنا» ويريد أن يهلك هوية مواطنيه المتميزين «كالآخر» ويقرّب هويتهم من هويتها. السلطة يجبر على الناس أن يغير لغتهم، ملابسهم ودينهم. في الواقع؛ السلطة هي الفضاء الثالث

يحاول على أن يبعد الناس عن هويتهم العريقة. بعبارة أخرى؛ العيش في هذا الفضاء يتطلب تخلّي خوسية عن عاداته والانبهارفي ثقافة القشتالة. نعني بثقافة الأجانب أنّها من وجهة نظر خوسية أكبر من ثقافته الوطنية ولهذا يقوم بطردها وصولاً إلى أن يشبه الأجنبي. لأنَّ محكاة الأجنبي تبعده عن «الإساءة والآخ َر».

«تمشي فتُحدق بك بالعيون، متربصة بالأذي، تسمع بأذنك عبارات «عربي قذر»، «كلب موريسكي» فتمضي كأنّك لم تسمع شيئاً، مرة ومرتين وثلاث، ثم تمسك بتلابيب القائل فتضربه ويضربك، ويسيل دمه أو دمك» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٨٠).

الكاتبة تتحدث مباشرة عن الفضاء البيني أو الهجينة في هذا القسم من الرواية؛ نلاحظ الظروف التي يعيش فيها تعم َرالمستعم ِر. يتعرّض المستعم َر لعلى الفضاحة والإساءة بألفاظ شنيعة منها؛ «عربي ّ قذر» و«كلب موريسكي». المستعم َر يسمعها في بلده المحتلّة ويشعر أنّ هويته مطرودة في الأرض التي تتعلّق به. هو لا يرغب في محاكاة هوية للأجـ أو قبولها بل يقاوم على حفظها بإراقة دمه. هذه التعابير التي يسمعها العربي ّ تدلّ على هيمنة الأجانب على بلده، ثقافته ولغته.

«سمع فيه أول ما سمع شخصاً يصيح في آخر: «عربي كلب!» استعاذ بالله ّ ومضي في هدوء كأنّ العبارة لم تخترق أذنيه، وفي السوق الكبير صادفه رجلان يقول أحدهما للآخر: «إنّهم ميالون للشر بطبعهم. لا يمكنك أن تأتمن أحداً منهم مهما أظهر لك المحبة والوفاء. هؤلاء العرب كذّبون مراوغون، والخيانة صفة أصيلة فيهم جميعاً!» (عاشور، ٢٠٠١: ٤٢٧).

تشير الكاتبة إلى الصراع الذي يجري بين "الأنا والآخ َر"، تصو ّر رضوى الصورة التي يتصو ّرها القشتاليون للعرب كآنللكاتبة تبرهن مباشرةً على أنَّ هذه الصورة لا تشكل إلا ّ في الفضاء الثالث الذي قد شكّل بين الأنا والآخ َر. في هذا الفضاء نلاحظ أنَّ الإنسان العربيتعر ّف على وجهة نظر القشتاليين بالنسبة إلى نفسه وأيضاً يشاهد أنَّ القشتاليين ينظرون إلى العرب نظرة لاذعة تؤذيه. إنَّ هذه النظرة التي نشأت من الفضاء الثالث تؤدي إلى أنَّه يقوم بالتفكيك بينه وبين هويته العريقة. القشتاليون يتّهمون العرب بالكذب، المراوغة والخيانة. لذلك نشاهد أنَّ هذه الفقرة تحكي عن الهوية المهج ّنة تجس ّد خلال المراحل التالية:

تفكيك الهوية ⟵ طرد الهوية

من يمتلك مصحفاً أو كتاباً بالعربية يخفيه، ومن يرتدي مقطعاً تونسياً أو ما شابه يخلعه ويواريه. تتوقف دروس الصغار وينبّههم أهاليهم إلى ضرورة الكتمان والحذر» (عاشور، ٢٠٠١: ٤١٠).

يهذا القسم من الرواية نشاهد قضية طرد الهوية؛ الكاتبة تجس ّدت القشتالة والعرب والفضاء الذي يشكل بينهما.

إنَّ القشلقا تسيطر على العرب وتشير الكاتبة إلى المراحل التي تؤدّي إلى نبذ الهوية العربية. إنّ الناس الذين يمتلكون الكتب لعربية التي ترثها من أجدادهم قاموا بإخفائها خوفاً من عقوبات السلطة وعلاوة على الكتب، اجتنبوا عن ارتداء ملابسهم العربية وتعليم صغارهملغة العربية. يهتمّ الناس بضرورة كتمان ما يرتبط بهويتهم لكي يحافظوا عنها. في الحقيقية ا الكتمانذ والحذر يقرّ باهم من قضية تفكيك الهوية أو ّلا ثمّ طردها أمام شظف الحياة. «يجادل بابا بأنّ كلّ البيانات والأنظمة الثقافية تصاغ في فضاء يسمّيه "الفضاء الثالث للتعبير". عادة ما تظهر الهوية الثقافية في هذا الفضاء المزدوج والمتناقض، وهو بالنسبة إلى بابا يجعل الادّعاء بوجود نقاء هرمي للثقافات واهية» (أشكروفت، ٢٠١٠: ١٩٩).

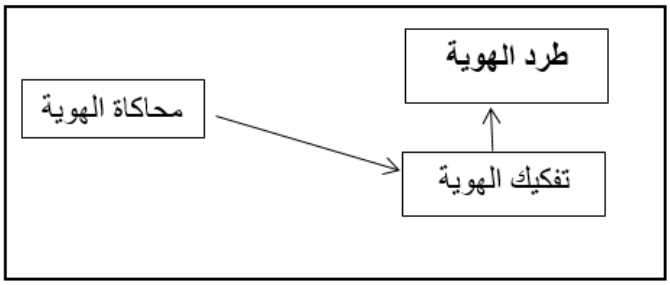

الرسم (٢): طرد الهوية

Figure 2: Identity rejection

تصوّر لنا الكاتبة الفضاء الثالث في شخصية "مريمة" التي تفرض طلب "الدونيا بلانكا" زوجة "دون بدرو" التي تقدّم طلبها إلى "مريمة" كي تطبخ لضيافتها الأطعمة العربية الشهيّة. أمّا "مريمة"تخلا ّ أن تخدمها وتقرّر أن تمارض وتمنع نفسها من أن تقبل طلب الأجانب. تشير رضوى عاشور إلى الفضاء الذي يستشري في البيازين. ما يهمّنا هو «أنّ لفرد لا يعثر على هويته إذا لم يستطع أن يتشكل داخل ما يرويه. وإذا كان هذا يبدو صحيحاً على صعيد الفرد، فإنّه يبدو كذلك على صعيد الجماعات وعلى صعيد الأمم والشعوب» (آذرشب وأعرجي، ١٣٩٦: ١٠).لهذا فإنّ الهوية قد تكون نتاج عملية السرد الذي تمارسه الجماعة.

«**تحدثت إلها صاحبة البيت وهما واقفتان. أفهمتها أنهّا تقيم حفلاً في دارها، وتريد أن تضيف لقائمة طعامها صنوفاً من الأكل العربي حدّدتها وطلبت من مريمة إعدادها...فما الذي يأتي بامرأة موريسكية إلى دور أسياد غرناطة، مادامت ليست من خدم الدار ولا عبيدها؟**» (عاشور، ٢٠٠١: ٢٩٠).

في هذه الفقرة نواجه شخصية "مريمة" التي تفتخر بهويتها العريقة وتقبلها من شغاف القلب حتيّ رفضت اقتراح

امرأةٌ تدعى بدرو، لإعداد مريمة صنوفاً من الأطعمة العربية لضيافتها. "مريمة" لا تريد أية خدمة لموريسكية حتّى إعداد الأطعمة التي ترتبط بهويتها العربية. هناك نلاحظ أنَّ الفضاء الثالث يؤدّي إلى إيجاد فضاءٍ يسبّب الإنسان العربي يجتنب عن نشأة العلاقة بينه وبين الآخرين. "مريمة" تقوم بقبول هويتها لتبعد نفسها عن التفكيك والمحاكاة. إضافة إلى هذا؛ تقوم بطرد الشخص الذي يعتبر نفسه "الأنا" في بلد غير بلده وتخاطبه بامرأة موريسكية التي تعيش في دار أسياد غرناطة.

٤ - ٢. تمثيل "لغة البيدجين" في الفضاء الثالث

تعمل اللغات البيدجينية[1] مثل اللغة الهجينة أي أنّها تستخدم كوسيطٍ للتواصل بين مجموعات من البشر لا تجمعهم لغة واحدة عندما يستخدم شخصان أو أكثر لغة بتنوّع تتّسم قواعده النحوية ومفرداته بالاختزال الشديد وهي ليست لغة الأم لأيهم فهم يستخدمون لغة بيدجين (أشكروفت، ٢٠١٠: ٢٧١).

إنَّ هيمنة القشتاليين في البيازين وعين الدمع تسفر عن امتزاجهم مع المواطنين وفرضوا عليهم استخدام اللغة القشتالية والتجنّب عن استعمال لغتهم الأم. رضوى عاشور تشير إلى ظاهرة "لغة البيدجين" في الأندلس التي تنعكس في شخصية "مريمة"، "حسن" و"نعيم". لا تقدر هذه الشخصيات استعمال لغةٍ غير لغة الأمّ بشكل صحيح بل يستخدمونها بصعوبة لأجل سيطرة القشتاليين. و"مريمة" تتحدّث عن هذه المشكلة مشيرةً إلى أنَّ لغة البيدجين مِن إرهاصات ما بعد الاستعمار التي شاعت في المجتمع ما بعد الكولونيالي:

«**جنود في دارها؟ سألوها بالقشتالية كان هناك غيرها في الدار، فأجابتهم بأنّها وحدها وأنّه لا يصحّ ، وهم أغراب، أن يدخلوا الدار عليها وهي وحدها، ضحكوا وتجاوزوها إلى الرواق فالغرف. لحقت بهم وهي تصيح أن للدور حرمات ولكنّهم لا يعرفون لشيء حرمة، ثمَّ انتبهت أنّها تكلّمهم بالعربية فحاولت أن تعيد الكلام بالقشتالية فبدا لها غريباً والمعنى غير المعنى**» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٢٤):

كما نلاحظ أنَّ "مريمة" امرأة تحافظ على هويتها أي حفاظ؛ لكنّها السلطة هيمنت عليها وفرضتها أن تستعمل اللغة القشتالية. إنّها تستخدم العربية لكنّها تجاه السلطة تستعمل القشتالي المفعم بالغموض والإبهام. "مريمة" امرأة عربية وتتكلّم بلغتها الأمّ أمّا عندما ترى الجنود القشتاليين تحتلّ بيتها تتحدّث معهم بالعربية والقشتالية معاً. نسمّي هذه الظاهرة في الدراسات ما بعد الكولونيالية ظاهرة لغة البيدجين. "مريمة" لا تستطيع أداء اللغة القشتالية صحيحاً بل يستعملها غريباً وبعيداً عن الفهم. «وممّا لا شك فيه أنّ اللغة عند سلكان الأصليين من أهم مظاهر الهوية فكلّ من لا يجيدها في بلدهم يعتبر إنساناً مرفوضاً ويصعب التعامل معه» (تدو وشيخي،١٣٩٩: ٦٠). في قسم آخر من الرواية

1. Pidgins

كالمرسوم الذي أعلنه القشتاليين يعبر عن عدم استخدام اللغة العربية في الكتابة والتخاطب بالعربية في المحافل والبيوت. أثار هذا الحكم بين الناس واضطربت مريمة اضطراباً شديداً بعد أن تسمعه به وتسأل علياً عن تفاصيله؛ كيف يمكن عدم استخدام اللغة العربية في بيتنا؟

«أنت تتقن القشتالية، ولكني لا أتقنها وحينأتحدّث بها أشعر أنّني بنصف لسان فكيف أتحدّث معك هنا في داري بلغة غير لغتي؟!» (عاشور، ٢٠٠١: ٣١٦).

هن تلومريمة" على أنهّا من المواطنات اللاتي أثّرت عليهن "الهجنة" وراجت بينهن "لغة البيدجين"؛ والمرسوم يمنعهن علىعمالي اللغة العربية حتي في دارهن لأنَّ السلطة تنظر إلى استخدام اللغة العربية كوسيلة لإشاعة الإسلام. هذا الأمر يعد مصيبة بالنسبة إلى النوى لا يستطيعون استخدام لغة غير اللغة العربية وذلك يعود إلى أنهّم لايتقنون القشتالية بل يتكلّمونها بالغموض والأخطاء الشائعة. من هنا «بدأ سؤال الهوية يؤرق الإنسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر، الذي سبقه حضارياً ويهدد وجوده حين زحف إلى الشرق مستعمِراً، إذ إنّ المرء لايدرك أهمية هويته إلا في لحظة مأزومة عندئذ يرتدّ إلى مكوناته الأصلية، التي تمنحه الإحساس بوجوده فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات مهما كانت التحديات» (ميرزائي وآخرون، ١٣٩٧: ٩٠).

«كيف نحرم الأهالي من اللغة التي ولدوا وتربوا عليهاوقال إنَّ أهالي القرى والجبال لم يسمعوا أحداً يتحدّث بالأعجمية التي يجهلونها تماماً، لأنّحتّى القسس في تلك الأماكن النائية يتحدّثون العربية ثمَّ إنّ هناك في المدن أيضاً من المسنين من لا يعرف سوى العربية، ولا يستطيع في هذه العمر أن يتعلّم لغة جديدة» (عاشور، ٢٠٠١: ٣١٨).

هذه الفقرة تعبر عن إجابة فرانسيسكو نونييز عن مرسوم السلطة ومدى اضطهادها للمستعمَرين. يقول إنَّ عدم استخدام اللغة للقبيلة ارتباطاً عميقاً بتدمير الثقافة؛ الشعب العربي يستعمل اللغة العربية بما أنهّا لغتهم الأم ترعرعوا معها وترّبوا عليها ولايمكنهمتركها وطردها لأنَّ ترك لغة الأم لا يدلّ على شيء سوى إمحاء الهوية العربية.

إنَّ الاهتمام باللغة من القضايا الرئيسة خلال رواية "ثلاثية غرناطة". في قسم من الرواية "حسن" يحاول أن يعلّم حفيده اللغةالقبيلة التي تنسى في الجيل الجديد مستعيناً باللغة اللاتينية. إنّه يكتب على اللوحة الحروف العربية أولاً؛ ثمَّ يكتب نطقها المتطابق في اللغة الإنجليزية التي تعلّمها الولد في المدرسة. إنَّ غرض "حسن" من تعليم الحفيد اللغة العربية عدم نسلان هويته العربية لاسيما لغته الأم في الحقبة التي يؤكد على عدم استعمال لغة الأم وهذا يعود إلى ثنائية الأنا والآخَر:

«هذا الحرف هو أول حروف العربية، هكذا يكتب خطاكالعصا له عين في أعلاه كعين المخراز الصغير،

والنطق متقارب. نقول: andalucia ونقول أندلس. والحرف الثاني هو حرف الباء. والنطق متطابق، نقول: barrio ونقول: بلد. أما الحرف الثالث في الأبجدية اللاتينية فيقابل الحرف الرابع في العربية، بينهما شبه، وبينهما اختلاف، نقول: ciudad ونقول: casa» (عاشور، ٢٠٠١ :٢٧٣).

في الحقيقة، "حسن" يخاف أن ينسى "على" اللغة العربية التي تعبرّ عن عرقه العربيّ . يسعي في سبيل تحقيق غرضه وفي النهاية يتعلّم "على" لغة أجداده الأصيلة.

في هذا الفضاء نلاحظ أنَّ علياً يشعر بالخوف لإظهار دينه تجاه "النجاة" محاولاً على كتمانه؛ إنَّ ظاهرة "الهجنة" عالتيفيشاالمجتمع الكولونيالي تدلّ على أنَّ العربيّ لايحقّ أن يصرّ على عقائده أو دينه بل الإصرار على العقائد أو القيام بالطقوس والتقاليد يعتبر من الجرائم:

فيفقرة التإلية، يحكي "على" عن الرسالة التي كتبها فرانسيسكو نونييز بالتظلّم من الأهالى لإقناع السلطات وحلّ المشاكلامت السلطات بمنع ارتداء الملابس العربيّة. إنَّ الاحتفاظ بالثياب العربيّة يدلّ دلالة مباشرة على الثقافة الوطنية ورمّا الدينية التي تحاول السلطة على إمحائها لأنَّ الملابس العربية ترتبط بتقاليد الشعوب والسلطة تخالف الملابس الشعبية لأنهّا تخالف الدّين الذي يختاره الشعب:

«قال إنَّ الملابس التي ترتديها نساء العرب ملابس شعبية شاعت بينهنّ ليس لأنهّن مسلمات، بل لأنها محلية ترتبط بالأرياف والمناطق التي يعشن فيها» (عاشور، ٢٠٠١: ٣١٧).

٥.تمثيل هوية "التابع" في الفضاء الثالث

رضوى عاشور من الكاتبات اللاتي تعتني بأصوات النساء المستعمَرات في رواياتها؛ الأصوات التي ليست الأذن صاغية لها. مواصفات المرأة المستعمَرة فيروايتها "ثلاثية غرناطة" تطبّق المرأة التابعة الشرقية التي تشير إليها سبيفاك في دراساتها ما بعد الكولونيالية، نواجه في هذه الرواية القشتاليين المستعمِرين الذين فَقَد أخذوا زمام الأمور بأيديهم أياماً كانت أندلس تعجّ بالفساد والفوضي؛ ويستشري فيها التعس واليأس. فالقشتاليون وضعوا العقبات أمام النساء التابعات ونلتقدوّلهدّ ومكانتهنّ وتصرّفوا معهم تصرّفات المستعمَرين. بعبارة أخرى؛ المرأة في المجتمع الذي يسيطر عليه الأجنبي ويتدخّل في شؤونه، تواجه ثنائية المجتمع الذكوري والمجتمع الاستعماري معاً؛ "فضة"هيأةُالمالتي تَدور دورَ المستَرةِ تخدم في بيت "دون بدرو" وهو يعمل في المستشارية، يتصاحب ويمتلك كلّما يرتبط بخادمته «الفضّة» وينظر إليهاةنظتبوع إلى التابع ولذلك ينشأ بينهما علاقة المالك والمملوك . أمّا "الفضة" فتتحمّل ما لا تطيقها لكي لا يشغلها دون بدرو في بيوت السوء وتقول:

«الدون بدرو يطلب أحيانا ما يطلبه السيد من إمراه يمتلكها ولا املك له رداً. أقول يا ربّ لماذا تحملني ما لا أطيق؟ ثم أعود فأقول إنني أفضل حظاً من الأخريات اللاتي يشغلن أسيادهنّ ويفرضون عليهنّ القيام بذلك الفعل في بيوت السوء والفنادق للتكسّب من ورائهنّ » (عاشور، ٢٠٠١: ٣٣٩).

والإنسان التابع في النهاية هو الإنسان المقهور أمام القوة التي يفرضها المستبد أو الرجل أو المستعمِر الذي يفرض احتلاله. بالطبع هذه السلسة تترابط حلقاتها لما تقوم بينها من مصالح، كي تقيده وتفقده السيطرة على مصيره فارضة عليه قانونها الذي يتميز أساساً بالاعتباط، وبذلك يصبح الإنسان الذي لا حق له ولا مكانة ولا قيمة إلا ما شاء الطرف المتسلط أن يتكرم به عليه (حجازي، ٢٠٠٥: ٣٩). رضوى تصف لنا العزل المضاعف بالنسبة لـ«الفضة» التي يعاملونها معاملة العاملة في بيت غير بيتها وفي بلد غير بلدها من جهة.

والمرأهي التي تحيا أزمة الهوية على الصعيدين الخاص والعام. أمّا الصعيد العام فهي مواطنة تنتمي إلى وطن وكجزء من مجتمع تعيش بالضرورة الأزمة مثل الرّجل. وأمّا الصعيد الخاص فهو متعلّق بها المرأة دون غيرها (الرّجل) باعتبار أنّها تعاني من أزمة الهوية على مستوى الذات ونقصد أزمة الهوية الجنسية أي الانتماء إلى جنس الأنثي. رضوى تريد أن تتجسّد لنا شخصية المرأة التي تعيش في المجتمع العربي الذكوري الذي ينظر إليها بوصفها هامشية:

«فتشوا في الخزائن وتحت الفراش. فتحوا صندوقها ونثروا ما فيه من ملابس، ورأت واحدا منهم يضع خلسه في جيبه المكحلتين: الصغيره المصنوعه من الذهب الخالص والأكبر المصنوعه من الفضه فعلا صوتها: هل أنتم لصوص؟ هات المكحلتين. لقد ورثتهما عن أمّي عن جدتي، هات» (عاشور، ٢٠٠١: ٣٢٤).

يمة لا تقدر على إحقاق حقّها في بيتها ووطنها، إنّها تجسّد صورة الآخر المماثل والمغاير معاً: تواجه مرّة أمام المحتل الذكوري ومرّة أمام الاستعمار. في هذه الفقرة نشاهد أنّ الجنود فتّشوا بيتها وما فيه من الملابس والأشياء وفي نهاية المطاف سرقوا المكحلتين الذهبية والفضّية ورثتهما عن جدّتها. يمكننا القول إنّ رضوى عاشور تشير غير مباشرة إلى أنّ المهتمّ بمفهوم التراث اهتماماً لا نظير له. يدّل التراث على الهوية والأصالة؛ المستعمَر يتوسّل إلى الرائح والغادي لكي يحافظ على هويته كما نلاحظ أنّ المكحلة في هذه الفقرة من الرواية تعبّر عن التراث الشعبي. تعلو مريمة صوتها المفعم بالسخط رغم أنّ كيانها يملأ بالخوف لكنّ يكبت الجنود صوت التابع. أهم مرتكزات الأدب ما بعد الاستعمار، قضية الإزاحة عن المكان الرئيس و الارتماء في مكان ناء وبناء تصوّرات مغايرة تولّد أزمة خاصة بالرؤية وبالهوية وباستعادة بناء علاقة فعالة بين الذات والمكان الجديد لتحديد موقع الفرد في العالم وهذا هو مفهوم الاغتراب والمنفى. تتحدث الكاتبة عن مفهوم التشريد في داخل الوطن، هذا المفهوم يحيي أحاسيس ثنائية منها الخوف والمنفى الداخلي. تصوّر لنا أنّ موقع المستعمَر في العالَم موقعُ الاغتراب والمنفى. مريمة تري نفسها بين الذات المتشرد في وطنه.

الكاتبة تبين ّ الاغتراب الذي جر ّ به المستعم َرون إزاء المستعم ِرين في وطنهم.

«**هل تعملين هنا منذ زمن يا نجاة؟ منذ قرابة عامين يا سيدي ... متعهد هذه الامور في الخان، وهو الذي يحصل منا النسبه المقرره للملك. الملك؟ نعم يا سيدي. أنا أيضا لم أكن أعلم كل هذه الاشياء ولكني صرت أعلمها الحي العربي كل مرافقه من أملاك الملك**» (عاشور، ٢٠٠١: ٤٤٦-٤٤٤).

«تهاهي الشخصية التي تواجه مصائب فادحة. تصو ّ ر حالة دائمة من الغربة والابتعاد والإقامة الهامشية، إنَّ العمل في الخان أصبح صيغة من طوخود تولد شعوراً متواصلاً بالانشقاق عن السياق ووقفة الانتظار. تبين ّ نجاة تجربتها التي تتضم ّن أنواعاً عديدة من الابتعاد القسري والنفي العنيف. ترسم لنا رضوى عاشور مدي هامشية المرأة أمام المجتمع الذكوري وتداعيات التشريد والاستعمار؛ المرأة التي تلجأ إلى الصمت كل ّ ما يحدث لها. فالشعوب المستعمرة سلب منها حق ّ تمثيل نفسها أي أنها سلبت حق ّ التعبير عن ذاتها. والكلام هو الوسيلة الوحيدة لتأسيس معرفة متماسكة عن التابع ووعيه ووجوده. أما النجاة لا تمتلك سوى الرضوخ والتبعية؛ والوقوع في الدونية كقدر مفروض. ومن هنا نجد تصر ّ فات كالتزلّف والمقاومة العظيم السيد اتّقاء لشر ّ ه أو طمعاً في رضاه. إنّها تعيش في عالم بلا رحمة أو تكافؤ إذا أرادت المجابهة أو فكرت في التمر ّ د فسيأتي الرد ّ عندها حاسما يقنعها بقمع أفكارها التمردية. كما نري هذا القمع في مصيرة سليمة بنت جعفر الّتي اتّهمت م ِن جانب الكنيسة بالارتداد عن الكنيسة وأعلَنوا عليها حكم الموت«**حَكمنا عليك وأنت واقفة أمامنا هنا في ميدان باب الر ّ ملة أنّك كافرةٌ لا توبةَ لها، عقابها الموتُ حُ رقاً**» (عاشور، ٢٠٠١: ٢٤٥). وعندما نتابع مصيرة أسرة مريمة نراها اشتبكت في المشاكل العديدة لخرقهم القوانين في إقامة مراسيم تدفين أبيهم على رغم منع القشتاليين إيا ّهم. قالَ أخ َو َ ا م َ ريمة: «**سنقوم بلبق به وبنا. ولِ يذهب َ القشتاليَ إلى الجحيم !**» وقاموا بغسل أباهم وتكفينه، وتشييعه، وتلاوة القرآن بصوت ترد َّد في فَضاء الحَ ي ّ لأجل هذا التمر ّ د وتفكيك الهوية الدينية«**و َ قبل أن ينقَضي الأسبوع كان القشتاليون قد اقتَ َحموا بيت أبيها وألقَوا القبض على أم ّها وشقيقَيها َ ا.**» (عاشور، ٢٠٠١: ١٥٨)**.**

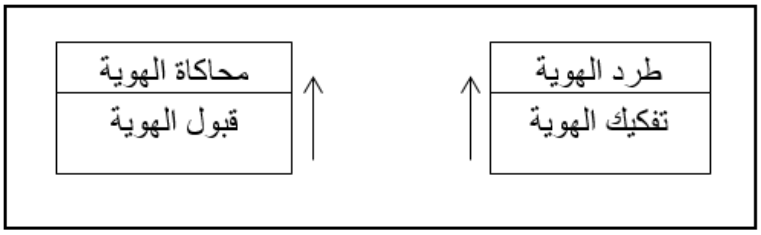

الرسم (٣): استراتيجية تعاملية للأنا والآخر

Figure3: The behavioral strategy of the reference subject and the other

إلّ سم الثالث يؤكد على أنّ هوية التابعات ليست ثابتة بل تكون متغيرة حسب الظروف التي يعشن فيها. بعبارة ى؛ الظروف التي تسمحهن الخروج من العزلة تساعدهن على تفكيك الهوية والحصول على الهوية المحبّبة أمّا الظروف التي لا تمنحنّ فرصة التعبير عن معاناتهن فتسفر عن قبول هوية التابعة وقبول الاضطهاد المزدوج من جانبي الاستعمار والبطريركي.

٦.النتيجة

إنّ رواية "ثلاثية غرناطة" تعتبر من الروايات ما بعد الكولونيالية؛ نلاحظ فيها ملامح "الهجنة" خلال ما يجري بين الشخصيات؛ مثل ابن ياسين الوقّاد وخوسية ذوو هويات عربية هم الّذين ترعرعوا في بيئة عربية قبل هيمنة القشتاليين؛ وبعد أن يفرض عليهم القشتالة يتأثّرون بـ"الفضاء الثالث" الذي يتجسّد بينهم وبين القشتاليين الذي يؤدّي إلى نسيان هويتهم العربية العريقة خلال محاكاة هوية الأجانب. علاوة على تجليات الهُجنة في المجالات الثقافية، نتوصّل إلى ظاهرة "الهُجنة" اللغة ونتعرّف على ظاهرة لغويّة حديثة في الحقبة ما بعد الكولونيالية وهي ظاهرة "لغة البيدجين" التي تدور دورلًا مّهاً في تكوين شخصية "مريمة" أمام الأجانب. إنّ هذه الظاهرة اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمواطنين الذين لا يمكنهم هويتهم بل يتمسكون بها أمام الظروف القاهرة. على أساس هذا؛ تُقبَل الفرضية الأولى التي تشير إلى أنّ الرواية تدور حول الصراع بين العرب والقشتاليين في ممالك الأندلس؛ هذا الصراع يشكل فضاءً بين العرب والقشتالة وينطبق على الفضاء الثالث الذي يتحدّث عنه هومي بابا في دراساته ما بعد الكولونيالية. هذا الفضاء يصوّر ظاهرة التهجين التي تتجلّي في قضية الدّين، اللغة والثقافة حتّى تنتهي إلى ظهور الهوية الهجّنة.

تتفق الكاتبة مع نظرة سبيفاك وهي أنّ المرأة التابعة تستطيع أن تتكلّم إذا كانت الظروف متوفرة لها من جانب الثقافة البطريركية والاستعمار؛ إنّ الرواية المذكورة تنطبق على ملامح النساء التابعات منها؛ سليمة، مريمة، الفضة، النجاة واللاتي يعانين من الظلم المزدوج من جانبي الاستعمار والبطريركي. إضافة إلى ذلك؛ يمكننا الإشارة إلى قبول الفرضية الثانية أنّ رضوى عاشور من الكاتبات التي تهتمّ بالقضايا ما بعد الكولونيالية في رواياتها؛ هذه الدراسات ترتبط بدور الناس الهامشيين الذين يعيشون في فترة الاستعمار.

المصادر و المراجع

[١] آذرشب، محمد على وفاطمة أعرجي، تمثيل هوية التابع في الرواية العربية الجديدة رواية "شيكاجو" أنموذجاً، ***دراسات في اللغة العربية وآدابها***، العدد السادس والعشرون، (١٣٩٦)، صص١- ٢١.

[٢] أشكروفت، بيل وجاريث جريفيث وهلين تيفين (٢٠١٠)، **الدراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسة**، ترجمة: أحمد الروبي وأيمن حلمي وعاطف عثمان، الطبعة الأولي، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

[٣] برباش، ويزة، دراسة التوظيف التاريخي والروائي والبنية السردية في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، (٢٠١٦)، أطروحة الماجستير في جامعة محمد بوضياف المسيلة.

[٤] بعلى، حفناوي(٢٠٠٧م)، **مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن**، الطبعة الأولي، الجزاير: الدار العربية للعلوم.

[٥] تدو، محمد وعليرضا شيخي، التهجين في الرواية الجزائرية المعاصرة على ضوء نظرية هومي بابا (رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوض أنموذجاً)، ***إضاءات نقدية***، العدد السابع والثلاثون، (١٣٩٩)، صص٤٥-٦٩.

[٦] جوان مولايي و رضا ياوريان، خوانش پسااستعماري از رمان مردم جولاي نادين گرديمر، ***نقد اللغة والأدب الإنجليزي***، العدد٥، (١٣٩٢)، صص ١٤-١.

[٧] حجازي، مصطفي، (٢٠٠٥)، **التخلّف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**، الطبعة التاسعة، بيروت: دار البيضاء.

[٨]خلود، ابراهيم، تطوّر البناء الدرامي التاريخي في روايات رضوى عاشور "٢٠١٠-١٩٩٢"، (٢٠١٤)، أطروحة الماجستير.

[٩] روشنفكر، كبري وهادي نظري منظّم وسميرا حيدري راد، شخصية المرأة في رواية "الطنطورية" لرضوى مصطفي عاشور على ضوء آراء سبيفاك، ***مجلة آداب الكوفة***، (١٣٩٦)، صص٣٤٣-٣١١.

[١٠]الرويلي، ميجان و سعد البازغي (٢٠٠٢م)، **دليل الناقد الأدبي**، الطبعة الثالثة، بيروت: الدار البيضاء- المغرب.

[١١]زعزاع، أحمد، المحكي التاريخي واستراتيجيات المقاومة الثقافية في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، ***الآداب***، (٢٠٢١)، صص٩-١٠٤.

[١٢]سعيد، إدوارد (٢٠٠٦م)، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، المترجم: محمد عناني، الطبعة الأولي، القاهرة: رؤية للنشر و التوزيع.

[١٣]سعيد أبوالوفاء، مني، ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور دراسة في التشكيل السردي ومقصديته، (٢٠١٠)، رسالة الدكتوراه في جامعة عين الشمس.

[١٤]شاهميري، آزاده (١٣٨٩)، **نظريه و نقد پسااستعماري**، الطبعة الأولي. طهران: منشورات علمية.

[١٥]شمناد، منظّرة هندية لخطاب مابعد الاستعمار، **مجلة علمية ثقافية**، العدد١، (٢٠١٦)، صص ٢٠٨-١.

[١٦]العارف، خالد، الفضاء الثالث في روايات واسيني الأعرج: شطب الحدود وإعادة الكتابة، ***مجلة تبين***، العدد١٤، (٢٠١٥)، صص١٦٥-١٨٦.

[١٧]عاشور، رضوى (٢٠٠١م)، **ثلاثية غرناطة**، الطبعة الثالثة، القاهرة: دارالشروق.

[١٨]عودة زعرب، صبيحة، تقنيات السرد الزمني في الرواية التاريخية "ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور نموذجاً"، ***مجلة جامعة الزيتونة الأردنية***، (٢٠٢١)، صص٣-٢٦.

[١٩]فاتحي، حسن وفرامرز ميرزائي وبي بي راحيل سن سبلي، خوانش پسااستعماري تجربه ي مهاجرت در رمان "أصابع لوليتا" اثر واسيني الأعرج از ديدگاه هومي بابا، ***نقد الأدب العربي***، العدد١، (١٣٩٥)، صص١٩٨-١٧١.

[٢٠]فاتحي، حسن و بي بي راحيل سن سبلي، بررسي هويت پسااستعماري در رمان "مملكة الفراشة" اثر واسيني الأعرج با تكيه بر ديدگاه هومي بابا، ***مجلة لسان مبين***، العدد٢٨، (١٣٩٦)، صص ١٥٥-١٢٩.

[٢١]محمود عبيدات، زهير، ثلاثية غرناطة: مقاربة الحاضر دراسة في رواية الروائية رضوى عاشور، ***العلوم الإنسانية والاجتماعية***، العدد٣، (٢٠٠٦)، صص ٥١٩-٦٠٦.

[٢٢]مخلوف، عمر، تمظهرات الزمن في رواية غرناطة لرضوى عاشور، ***حوليات الآداب واللغات***، (٢٠١٦)، صص ٤١٢-٤٢٧.

[٢٣]مسلم، سومية، شعرية الوصف في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور، (٢٠١٤)، أطروحة الماجستير في جامعة أم البواقي.

[٢٤]مصطفي، إبراهيم وأحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر ومحمّد على النجّار (١٩٨٩)، **المعجم الوسيط**، استانبول: دار الدعوة.

[٢٥]مورتون، استيفان (١٣٩٢)، **گاياتري چاكراورتي اسپيواك**، ترجمة: نجمة قابلي، تهران: بيدگل.

[٢٦]ميرزائي، فرامرز وبشري جزائري راد وخليل پرويني وهادي نظري منظم، فصام الهوية بين أنوثة قاهرة ورجولة مقهورة: قراءة ما بعد كولونيإلية في رواية "العطرالفرنسي" لأمير تاج السر، ***دراسات في اللغة العربية وآدابها***، العدد السابع والعشرون، (١٣٩٧)، صص٨٥-١٠٤.

[٢٧]نامور مطلق، بهمن، درآمدي بر تصويرشناسي، ***مطالعات ادبيات تطبيقي***، العدد١٢، (١٣٨٨)، صص ١٣٨-١١٩.

[٢٨]نيكوبخت، ناصر وحنان محمد موسي طاحون وغلامحسين غلامحسين زاده وكبري روشنفكر، الفتاة المصرية في

رواية «الباب المفتوح» (دراسة في البناء الروائي)، مجلة ***دراسات في العلوم الإنسانية***، (٢٠١٢)، العدد١٩، صص١٤٧-١١٩.

[٢٩]ورزنده، امید و سید رضا ابراهیمي، هویت زن شرقي مهاجر در آثار جومپا لامیري ومهرنوش مزارعي از دیدگاه هومي بابا، ***مجلة اللغة والأدب الفارسي***، العدد١١، (١٣٩١)، صص ١٦٠-١٨٩.

المصادر الإنجليزية

30. Bhabha. H. K., (1994). *The Location of Culture*. London: Routledge Classics.
31. Spivak, G.C., (1988**). '**Can the Subaltern Speak?' in Cary Nelson and Lawrence Grossberg (ed) Marxism and the Interpretation of Culture, London: Macmillan, Pp. 271-313.

Reference

[1] Azarshab, Mohammad Ali and Fateme Aarji, (2016). 'Representation of the follower's identity in the new Arabic novel, "Chicago" as a model', *Arabic Language and Literature Studies*, Vol. 26, Pp. 1-21.

[2] Ashcroft, Bill and Gareth Griffiths, and Helen Tiffin, (2010). *Postcolonial Studies: Key Concepts*, Translated by Ahmad Al-Roubi, Ayman Helmi and Atef Othman, 1st Ed., Cairo: National Translation Center.

[3] Barbash, Vaiza, (2016). 'An examination of historical and narrative employment and narrative structure in Radwa Ashour's Granada Trilogy,' Master's Thesis at Muhammed Boudiaf Mosla University**.**

[4] Baali, Hafnawi, (2007). *An Introduction to the Theory of Comparative Cultural Criticism*, 1st Edition, Algeria: Darul Uloom Arab.

[5] Tado, Mohammad and Alireza Sheikhi, (2019). 'Hybridization in the contemporary Algerian novel in the light of Homi Bhabha's theory (the novel "How to breastfeed from lupus without biting you" by Amare Lekhod as a model), *Ishraq Critical*, Issue 37, Pp. 45-69.

[6] Javan Moulai and Reza Yavarian, (2012). A post-colonial reading of Nadine Gardimer's novel People of July, *Criticism of English Language and Literature*, No. 5, Pp. 1-14.

[7] Hijazi, Mustafa, (1384), social backwardness, an introduction to the psychology of the oppressed, 9th Edition, Beirut: Al-Bayda Publication.

[8] Kholoud, Ibrahim, (2014). 'A dramatic historical narratives in the novel of Radwa Ashur «1992-2020»', Master Thesis.

[9] Roshenfekr, Kubra, Hadi Nazari Monazzam and Samira Heydari Rad, (2016). Female character in the novel "Tanturieh" written by Radwa Mustafa Ashour in the light of Spivak's opinions, *Kufa Culture Magazine*, Pp. 311-343.
[10] Al-Raweili, Mijan and Saad al-Bazeghi (2002). *A Literary Critic's Guide*, 3rd Edition, Beirut: Al-Bayda Publication.
[11] Zaaza, Ahmed, (2021). Historical narrative and strategies of cultural resistance in Granada Trilogy of Radwa Ashour, *Al-Adab*, Pp. 104-9.
[12] Said, Edward (2006). *Orientalism, Western Concepts of the East*, Yranslator: Mohammad Anani, 1st Edition, Cairo: Vision Publication and Distribution.
[13] Saeed Abul Wafa, Mona, (2009). 'Granada Trilogy of Radwa Ashour, the study of the formation of the narrative and its purpose', PhD Thesis at Ain Shams University.
[14] Shahmiri, Azadeh, (2009). *Postcolonial Theory and Criticism*, 1st Edition. Tehran: Scientific Publications.
[15] Shamnad, (2016). A Indian Theorist of Postcolonial Discourse, *Scientific and Cultural Magazine*, No. 1, Pp. 1-208.
[16] Al-Arif, Khaled, (2014). 'The third space in the novels of Vesini al-Araj: Crossing the borders and rewriting', Journal of Taba'in, Vol. 14, Pp. 165-186.
[17] Ashour, Radavi, (2001). *Granada Trilogy*, 3rd Edition, Cairo: Al-Shurouq Publication.
[18] Awdat Zorub, Sabiha, (2021). Techniques of temporal narrative in the historical novel "Granatha Trilogy by Radwa Ashour as an example", *Al-Zitouneh University Journal*, Jordan, Pp. 3-26.
[19] Fatehi, Hassan and Framarz Mirzai and Bibi Raheel San Sabli, (2015).Post-colonial reading of the migration experience in the novel "Lolita's Fingers" by Vasini Al-Araj from the perspective of Homi Bhabha, *Arabic Literary Criticism*, No. 1, Pp. 171-198.
[20] Fatehi, Hassan and Bibi Raheel San Sabli, (2016). Investigation of post-colonial identity in the novel "Kingdom of Al-Farasha" by Vasini Al-Araj based on Homi Bhabha's point of view, *Mobin Literary Journal*, No. 28, Pp. 129-155.
[21] Mahmoud Obeidat, Zuhair, (2006). 'Granada Trilogy: an approach to the present, a research on novelist Radwa Ashour', *Humanity and Social Sciences*, No. 3, Pp. 519-606.
[22] Makhlouf, Omar, (2016). Manifestations of Time in Granada by Radwa Ashour, Annals of Literature and Languages, Pp. 412-427.
[23] Muslim, Soumia, (2014). The Poetics of Description in the Granada Trilogy Novel by Radwa Ashour, (2014), master's thesis at Umm El-Bouaghi University.

[24] Mostafa, Ibrahim and Ahmed Hassan Al-Zayyat, Hamid Abdel-Qader and Muhammad Ali Al-Najjar (1989). The Intermediate Lexicon, Istanbul: Dar Al-Da`wa.
[25] Morton, Stephan (2012). *Gayatri Chakravorty Spivak*, translated by: Najma Ghabi, Tehran: Bidgol.
[26] Mirzaei, Faramarz, Bushra Jazairi Rad, Khalil Parwini, and Hadi Nazari Munazzam, (1397). Identity Schizophrenia between oppressive femininity and oppressed manhood: a postcolonial reading in the novel "The French Perfume" by Amir Taj Al-Sir, *Studies in Arabic Language and Literature*, Issue 27, Pp. 85-104
[27] Namur Motlat, Bahman, (2008). An Introduction to Imagery, *Comparative Literature Studies*, No. 12, Pp. 119-138.
[28] Nekobakht, Nasir, Hanan Muhammad Musa Tahoun, Gholamhossein Gholamhosseinzadeh and Kubra Roshenfikar, (2012). The Egyptian girl in the novel “The Open Door” (a study in the narrative structure), *Journal of Studies in Human Sciences*, No. 19, Pp. 119-147.
[29] Varzandeh, Omid and Seyed Reza Ebrahimi, (2011). The identity of the oriental immigrant woman in the works of Jhumpa Lahiri and Mehranush Mazhari from the perspective of Homi Bhabha, *Al Farsi Literature Magazine*, 11, Pp. 160-189.
[30] Bhabha. H. K., (1994). *The Location of Culture*. London: Routledge Classics.
[31] Spivak, G.C., (1988**). '**Can the Subaltern Speak?' in Cary Nelson and Lawrence Grossberg (ed) *Marxism and the Interpretation of Culture*, London: Macmillan, Pp. 271-313.

Examining the identity of “Hybrids” and "Subaltern” in the Novel *Granada Trilogy* by Radwa Ashour Based on the Theories of Homi Bhabha and Spivak

Ali Akbar Mollaei[1]*, Samira Heidari Rad[2]

1. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Vali-e-Asr University, Rafsanjan, Iran.
2. PhD Student, Department of Arabic Language and Literature, Yazd University, Iran.

Abstract

Postcolonial literature is one of the new critical fields that was found in the 1950s and peaked in the late 1970s. One of the most important features of this type of literature is its focus on the colonized, which brings to mind the various manifestations of colonialism. The identity of hybrid and subaltern is one of the main concepts of post-colonial research. In his novel, Radwa Ashour's attention to the challenge between “me” and “other”, the phenomenon of hybridity and identity crisis as well as the conflict of nationals with two-way colonialism, shows the resistance of this pioneer writer against colonialism in the literary form. First of all, the main purpose of this research is to get acquainted with the author's ideology regarding post-colonial issues as well as his fictional works. The research method, criticism and analysis of *Granada Trilogy* written by Ashour which is based on views of two prominent theorists in the field of post-colonial literature, namely Homi Bhabha and Spivak. The article is based on the assumption that there is a two-way connection between the novel “Granada Trilogy” and post-colonial theories. Although the time gap between the events of this novel and the emergence of this theory is long, it seems that it exemplifies the principles of Homi Bhabha and Spivak. According to the research, cultural conflicts eventually lead to the emergence of a "hybrid" identity, which is in the heart of phenomena such as: "rejection", acceptance, dispersion and imitation. Therefore, in the novel, we see that following the mixing and bonding of Arabs and Gestalts and the emergence of hybrid generations, the pidgin language is spread. Citizens also do not have a fixed identity and undergo transformation according to the existing social conditions.

Keywords: Post-Colonial Literature; Identity; Hybrids; Subaltern; Historical Novel; Granada Trilogy; Radwa Ashour.

*Email: a.mollaie@vru.ac.ir

بررسی هویت «دورگه‌ها» و «فرودستان» در رمان «سه گانه گرانادا» از رضوی عاشور بر پایه نظریات هومی بابا و اسپیواک

علی اکبر ملایی[1]، سمیرا حیدری راد

۱- استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه ولی عصر رفسنجان (عج)، رفسنجان، إیران.
۲- دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه یزد، یزد، ایران:

چکیده

ادبیات پسااستعمارگرایی از میدان های نقدی نوین است که در دهه پنجاه قرن بیستم پیدا شد و در اواخر دهه هفتاد اوج گرفت. از مهم‌ترین ویژگی‌های این نوع ادبی، تمرکز آن بر ادبیات استعمارشدگان است که جلوه‌های گوناگون استعمار را فرایاد می‌آورد. هویت دورگه‌ها و فرودستان، از مفاهیم اصلی پژوهش‌های پسااستعماری است. توجه رضوی عاشور در رمان خود، به چالش بین من و دیگری، پدیده دورگه بودن و بحران هویت و درگیری اتباع با استعمار دوسویه، مقاومت این نویسنده فرهیخته را بر ضدّ استعمار در قالب ادبیات، نمایش می‌دهد. باری مقصود اساسی از طرح این تحقیق، آشنا شدن با ایدئولوژی نویسنده در زمینه موضوعات پسااستعماری ضمن آثار داستانی اوست. روش تحقیق، نقد و تحلیل رمان سه‌گانه گرانادا نوشتهٔ رضوی عاشور، بر پایهٔ دیدگاههای پسااستعماری دو نظریه‌پرداز برجسته در حوزه ادبیات پسااستعماری یعنی هومی بابا و اسپیواک است. نوشتار بر این فرض استوار است که پیوندی دوسویه بین رمان سه گانه گرانادا و نظریات پسااستعماری برقرار است. هرچند فاصله زمانی بین رویدادهای این رمان و پیدایش این نظریه، بسیار است، با این حال به نظر می‌رسد که اصول نظری هومی بابا و اسپیواک را مصداق می‌بخشد. به گواهی پژوهش، درگیری‌های فرهنگی در نهایت به پیدایش هویتی «دورگه» می‌انجامد که در بطن پدیده‌هایی چون: «طرد شدگی»، پذیرش یافتن، پراکندگی و تقلید، سر بر می‌کشد. از این روی در رمان، شاهد هستیم که به دنبال آمیزش و پیوند عرب و گشتإلی‌ها و پیدایش نسل‌های دورگه، زبان بیدجین (pidgins) رواج می‌یابد. رضوی عاشور با نظر اسپیواک مبنی بر اینکه فرودست در صورتی امکان صحبت دارد که فرصت آن از جانب جامعه استعمار زده و مردسالارانه فراهم شود هم عقیده می‌باشد.

واژگان کلیدی: ادبیات پسا استعماری، هویت، دورگه، فرودست، رمان تاریخی، سه گانه گرانادا (تریولوژی)، رضوی عاشور

*نویسنده مسئول: Email: a.mollaie@vru.ac.ir